

وُلد المخلص وتحققت كل الوعود

أجل وبعد انتظار طويل دام مئات السنين وُلد المخلص الموعود به، وتحققت من خلاله كل وعود الله. والحقيقة أنه لكي ندرك مدى أهمية هذا الحدث، علينا أن نضع نفوسنا مكان أولئك الناس الذين عاشوا في تلك الأيام منتظرين تحقق وعد الله لهم بمجيء المخلص. وكان الانتظار طويلاً وصعباً للغاية، لا بل إن كل شيء كان يحدث عكس ما توقعوه. فلم يكن هناك إعلان جديد من عند الله، ولا نبوءة أو رسالة. لا بل إن الأمور كانت تسير من سيء إلى أسوأ، ولا شيء في الأفق يوحي بقرب تحقق الموعد، حتى إن الكثيرين فقدوا الأمل والرجاء.

وفجأة وفي تلك الأيام المظلمة العصيبة أتت رسالة الملاك جبرائيل للعدراء مريم: "ها أنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية." (لوقا ١: ٣١-٣٣) وبشّر الملاك الرعاة قائلاً: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب." ثم أنشدت الملائكة هاتفة: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالانس المسرّة." (لوقا ٢: ١٠، ١١، ١٤)

ماذا يكون رد فعل الإنسان الذي نفذ صبره وفقد كل أمل ورجاء إزاء هذه الأنباء المفاجئة؟ إنه بالطبع يفرح، لا بل يتهلل ويظير من الفرح، فهذا هو المخلص الذي طالما انتظره الشعب بفارغ الصبر منذ مئات السنين، ها هو يأتي أخيراً، ولا بد أن تتحقق بمجيئه كل وعود الله. وكالمعتاد في مثل هذه الأحوال لم يدرك عدد كبير من الشعب حقيقة هذا الحدث وأهميته. لكن كان لابد أن يدركه البعض منهم. ولهذا أخبرنا البشير لوقا عن الشيخ سمعان الذي أُوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب. فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما رأى الصبي يسوع "أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعدته قدام جميع الشعوب. نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل." (لوقا ٢: ٢٨-٣٢) لقد رأى سمعان الشيخ بالروح القدس إتمام وعد الله بمجيء المخلص. لا بل تيقن أن الله سيحقق من خلاله كل وعوده التي سبق لأنبياء العهد القديم أن تنبأوا بها عن الخلاص المجيد، والبركة لكل شعوب الأرض.

وأخبرنا البشير لوقا أيضاً عن النبوة حنة التي "في تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء أورشليم." أي كان هناك عدد كبير من اليهود الأتقياء، الذين كانوا ينتظرون تحقق وعود الله بفداء أورشليم.

لكن السؤال الآن هو: هل تحققت فعلاً وعود الله كما توقع سمعان الشيخ والنبية حنة؟ وهل جلس المسيح على كرسي داود وملك على بيت يعقوب كما أخبر الملاك جبرائيل مريم العذراء؟ للإجابة عن هذه التساؤلات، لا بد أن نعود إلى عدد من الشواهد الكتابية من خلال العهد الجديد.

لعل أول شاهد هو ما أكدته المخلص المسيح نفسه إلى تلاميذه بعد قيامته، إذ قال لهم: "أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث. وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم." (لوقا ٢٤: ٤٤ و٤٥) أي أكد المسيح هنا أن كل ما تنبأ عنه في العهد القديم قد تم، ما عدا طبعاً مجيئه الثاني. وأن عصراً جديداً قد بدأ هو عصر ملكوت الله. ويستطيع أي إنسان أن يدخل إلى هذا الملكوت عن طريق التوبة والإيمان بغفران المسيح لخطاياهم.

الشاهد الثاني هو ما أعلنه الرسول بطرس في عظته يوم الخمسين عندما تحدث عن رئيس الآباء داود فقال: "وإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه. سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً." (أعمال الرسل ٢: ٣٠ و٣١) ثم ختم عظته بالقول: "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً." (أعمال الرسل ٢: ٣٦) وبتعبير آخر أراد الرسول بطرس القول أن المسيح بقيامته المجيدة وصعوده إلى السماء قد جلس فعلاً على كرسي داود. وهو الآن الملك الحقيقي الذي يملك، إذ جعله الله رباً ومسيحاً.

الشاهد الثالث هو ما تحدث به الرسول بولس إلى اليهود في مجمع انطاكية ببيسيدية. فبدأ الكلام عن تاريخ الشعب القديم، وعندما أشار إلى الملك داود قال: "من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصاً يسوع. إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسرائيل." (أعمال الرسل ١٣: ٢٣ و٢٤) وبعد أن تحدث عن موت المسيح وقيامته وظهوره قال: "ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لأبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك. أنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد فهكذا قال إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة." (أعمال الرسل ١٣: ٣٢-٣٤) يبدو واضحاً من هذه الآيات المقدسة أن وعود الله للشعب قديماً قد تمت كلها من خلال

مجىء المخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات، وصعوده حياً إلى السماء ليجلس عن يمين الله الآب، أي في مركز الملك والسلطان. لا بل إن الله قد أرسل المسيح مخلصاً لهذا الشعب بالرغم من رفضهم له. وأن الله قد وفى بوعدده لهم، إذ أعطاهم مراحم داود الصادقة.

الشاهد الرابع نجده عندما عُدَّ المجمع الأول للكنيسة في أورشليم. إذ وقف الرسول يعقوب فقال: "سمعان قد أخبر كيف انتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه. وهذا توافقه أقوال الأنبياء كما هو مكتوب: سأرجع بعد هذا وأبني خيمة داود الساقطة وأبني أيضاً ردمها وأقيمها ثانية. لكي يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله." (أعمال الرسل ١٥: ١٤-١٧) أكد هنا الرسول يعقوب إذن أن الله بواسطة خلاص المسيح وشموله للعالم أجمع، قد أعاد بناء خيمة داود الساقطة، وأقامها ثانية.

هذه فقط بعض الشواهد الكتابية ويوجد غيرها الكثير، والتي تؤكد جميعها أنه بولادة المخلص المسيح قد تحققت كل الوعود، التي سبق لله أن أعلنها في العهد القديم. وأن الله قد تمَّ خلاصه لجميع البشر. لهذا نفرح كمؤمنين ونتهلل بولادة المخلص المسيح، الذي كان مجيئه مصدر خلاص وبركة لجميع الشعوب. فهيا بنا ننشد مع الملائكة هاتين: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة."